٣ الميادين الثائرة وغيبة العقل الثوري

إن ما شهده الشارع المصري ولا سيما ميدان التحرير في الأيام القليلة الماضية يجعلنا نعود من جديد لتقييم الثورة المصرية، وإعادة صياغة المفهوم الثوري في عقول المتظاهرين؛ لما شهده ميدان التحرير بدء من جمعة المطلب الواحد وحتى الآن من غياب ملحوظ للعقل الثوري، الذي يوجه الثورة نحو تحقيق أهدافها وينأى بها عن كل ما يضر بصالح الوطن ويعطل تقدمه نحو أهدافه الثورية، فالثورة إن لم يكن لها عقل ربما تصبح دربًا من دروب الفوضى التي توشك أن تحرق الوطن وتقضي على كل مكتسباته الثورية والحضارية، فشكل الثورة وموضوعيتها يعد معيارًا يقاس عليه تقدم الأمم وتخلفها، ويعبر أيضًا عن رصيدها من الأخلاق العامة التي هي سمة للشعوب المتحضرة. ويتمثل غياب العقل في الاستمرار على استخدام الصراع الثوري الذي يستخدم العنف كأداة لتحقيق الهدف وكبديل للتهدئة الثورية، ذلك الصراع الذي أوجبته حالة التشكيك المستمرة في كل معارض لمطالب ميدان التحرير، ونعته بالخيانة للوطن أو مناصرته للنظام المخلوع، ووضح ذلك جليًّا في جمعة حق الشهيد أو الفرصة الأخيرة حيث شهدت الميادين المصرية تظاهرات عديدة مختلفة المنهج والهدف، ففي حين يطالب التحرير برحيل العسكر يطالب ميدان العباسية ببقائهم ويندد شارع مجلس الوزراء بحكومة الجنزوري .. مستخدمين في صراعهم الجدلي أقذر أدوات الصراع من

تشكيك وتخوين وسباب غضين الطرف تمامًا عن مصلحة الوطن، في عراكهم المستمر مع السلطة أيٍ كانت تبعيتها. ووقفت القوى السياسية في حالة ثبات تنتظر أي الفريقين ينتصر لكي تدعم مطالبه ضمانًا لمساندته في الانتخابات، فعندما تتعارض مصالح القوى السياسية مع مصلحة الوطن فليس من الغريب أن نصفها بأنها قوى غير وطنية، ولماذا خشينا جميعًا الدفاع عن رجال الشرطة الذين أعدهم في نظري ضحايا لسخونة الشباب وغيبة وعيهم وخبث المتآمرين، حيث وقف رجال الأمن يدافعون عن مؤسسات الدولة بأرواحهم ضد قلة مندسة سمحت لها عقول الثوار المغيبة بالتسلسل خلف الصفوف لتأجيج الفتن وقطع الثقة بين المتظاهرين الأشراف والأمن الوطني، فلماذا نطالب الأمن بالحماية ونرفض استخدامه لأي أدوات للقمع ودرء البلطجة. كيف نفرق بين الثائر والبلطجي في ميدان التحرير .. كيف نفرق بين أصحاب العقول والمغيبين من الثوار في الشارع المصري، كي نقدم لرجل الشرطة روشتة للتعامل معه .. أنها معضلة بكل المقاييس لا يمكن حلها إلا بتفعيل العقل الواعي في الميادين الثائرة، ومعيار العقل يظهر جليًّا عند قياس الأفعال الثورية بمصلحة مصر ومستقبلها واستقرارها السياسي. ولذا فإنني أرى أن التيار الإسلامي بفيلقيه الإخوان والسلفيين أخطأ في حق مصر خطأ فادحًا عندما دعا لجمعة المطلب الواحد وأنه خسر كثيرًا من شعبيته في الشارع المصري ولا سيما بين الأغلبية الصامتة التي في الغالب تتحكم بقوة في نتيجة الانتخابات وليس الميادين الثائرة، ولا ينسى الشارع المصري كل من تسبب في إزهاق أرواح الأبرياء من تجار الوعي من القوى السياسية غير الوطنية .. فماذا كسبت مصر من استشهاد ٣٨ شهيد وإصابة أكثر من ١٠٠٠ شاب في جمعة المطلب الواحد.. وما الداعي أساسًا لهذه المظاهرات وقد اقترب موعد الانتخابات ووضع اللبنة الأولى في بناء الدولة المصرية المنشودة، أهي دعوة لإنجاح الانتخابات أم هي دعوة لتأجيلها واستمرار حالة الفوضى

والانفلات الأمني،، لماذا يصر الشباب على انتهاك هيبة الدولة والتحرر من الأخلاق الوطنية في التعامل مع المؤسسات المصرية والمنشآت العامة الذين يتعاملون معها إما هدمًا أو حرقًا احتجاجًا على سلوك سلطوي معين سواء من الجيش أو الشرطة متناسين أنهم ليسوا أصحابها إنما هي ملك مصر وحدها وبدون منازع .. وسؤالي الأخير لماذا تحولت الميادين العامة إلى متنزهات ثورية سواء للتعبير عن الرأي أو مشاهدة الأحداث عن قرب أو هي ميادين يتبارى فيها الجميع لإظهار البطولات ولو على حساب الوطن .. في ميدان التحرير لم تفقد فقط الثورة عقلها وإنما فقدت أيضًا أخلاقها التي شهد بها العالم أجمع.. ولم يصبح أمام الثوار إما ضبط النفس والاحتكام إلى العقل وإما الفوضى الخلاقة التي ربما تؤدي إلى حرق الثورة في أتون حرق الوطن.

□ □ □ □